ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

# حربُ الستةِ والستين يومًا وصمود البضع مئاتٍ من أولي البأس

**منير شحادة**

ينشط حزب اللّه كقوة فاعلة في جنوب لبنان. وقد حظي بدور مقاوم منذ سنوات طويلة في مواجهة الاحتلال «الإسرائيلي» في المنطقة. في أيلول ٢٠٢٤، أقدمت «إسرائيل» على شن عدوان بري وجوي في جنوب لبنان. وذكرت تقارير إعلامية أن الجيش «الإسرائيلي» نشر خمس فرق بتشكيلات كبيرة في جنوب لبنان، ضمن عملية برّية موسّعة.

إحدى هذه العمليات البرّية قامت بها الفرقة (الـ١٤٦) في المنطقة الغربية من جنوب لبنان، ضمن ما وصف بأنه عملية برّية محدّدة لمواجهة بنية المقاومة.

بالإضافة إلى ذلك، واجهت المقاومة ظروفًا صعبة، بما في ذلك ضربات استخباراتية واستهداف القيادات وعلى رأسهم الأمين العام لحزب اللّه الشهيد حسن نصر اللّه في غارة «إسرائيلية» في الضاحية الجنوبية لبيروت، ما شكّل صدمة كبيرة.

## الضربات القاسية وتداعياتها

١ - استهداف القيادة العليا: قيادة حزب اللّه، ومن ضمنها الشهيد السيد حسن نصر اللّه، تعرضت لضربة جوية مركّزة في ٢٧ أيلول/سبتمبر ٢٠٢٤، في ضاحية بيروت الجنوبية، حارة حريك، حيث كانت قيادة المجموعة في غرفة عمليات تحت الأرض.

هذا الاستهداف تغيّر فيه كثير من قواعد اللعبة، إذ أضعف رمزية الزعيم والتنسيق المباشر للقيادة العليا.

كما سبقها عملية «البيجر» الإرهابية التي أخرجت نحو ٤ آلاف عنصر من المعركة.

٢ - التحديات الميدانية: بالرغم من أن «الإسرائيليين» نشروا تشكيلات كبيرة (خمس فرق) فإنهم فشلوا في تحقيق السيطرة الميدانية في جنوب لبنان حتّى بعد ثلاثة أسابيع من الهجوم برّيًا.

وكان واضحًا أن المقاومة - محليًا وقواعديًا - ظلت تفاجئ القوات «الإسرائيلية» بالمقاومة، وبتحركات تكتيكية غير متوقعة.

٣ - الحالة المعنوية وصمود المقاتلين: رغم الضربات الاستخباراتية والعمليات الجوية الضخمة، رفع أهل جنوب لبنان رؤوسهم ولم يستسلموا للذعر وتحدّوا الإرهاب «الإسرائيلي» وصمدوا أمام الدبابات.

هذا الأمر مهم لأن الصمود حتّى عندما تبدو المعركة مستحيلة تقريبًا، يعطي بعدًا نفسيًا واستراتيجيًا: أن لا للاعتراف بهزيمة، ولا الفرار، بل البقاء على الأرض والمواجهة.

## لماذا استمر الصمود؟

يمكن تفسير الصمود بمزيج من العوامل التالية:

العمق المحلي والمعنوي: المقاومة من الجنوب اللبناني ليست مجرد قوة عسكرية، بل جماعة لها جذور محلية،

ومعنويات مرتفعة، وشعور بأن الأرض هي جزء من الهوية. هذا يقلّل احتمال انهيارها بسرعة حتّى أمام ضغط كبير.

اعتماد أسلوب حرب غير تقليدية: بدلًا من المواجهة المفتوحة الكلاسيكية، إن المقاومة اعتمدت أساليب تموضع، مباغتة، معرفتها بالأرض، وحواجز طبيعية، مما صعّب مهمّة الفرق «الإسرائيلية» التي تعمل ضمن تكتيك «قوات كبيرة/اختراق مباشر». حيث إن القوات «الإسرائيلية» لم تسيطر على أيّ منطقة رغم العملية.

تأثير الضربة على القيادة وليس على كلّ البنية: رغم اغتيال القائد، بقيت بنية الحزب والمقاتلين موجودة، ما يدلّ على أن الهيكل التنظيمي كان قد تم توزيع مهامه مسبقًا، أي أن الضربة لم تعنِ انهيارًا فوريًا.

حافز المقاومة (وجود عدو، إيمان بالهدف، وإجماع شعبي): وجود العدوّ «الإسرائيلي» والمطالبة بتحرير الأرض يعطيان دافعًا قويًا. هذا الدافع غالبًا ما يظهر في مثل هذه المواجهات كمعنوية ثمينة.

## التحديات التي واجهتها المقاومة

وعلى رغم الصمود المثير، ثمة تحديات مهمة:

غياب القيادة المركزية العليا بعد اغتيال القائد: استهداف الأمين العام لحزب اللّه السيد حسن نصر اللّه وغيره أُعتبر ضربة رمزية كبيرة، ربما أضعف التنسيق، وفرض على المقاومة العمل تحت قيادة ميدانية أقل ظهورًا.

العدو يملك أفضلية تكنولوجية وجوية وبرّية: من الجانب «الإسرائيلي» شاركت خمس فرق وعمليات برّية وجوّية كثيفة.

تكلفة الحياة والبنية الميدانية: الضربات الجوية والهجمات البرّية تعني خسائر مادية وبشرية كبيرة، وربما ضغطًا على مناطق الإمداد وخطوط الحركة.

الضغط الدولي والإقليمي على لبنان والمقاومة: بعد الضربة الكبرى، كان هناك ضغوط تهدّد بفرض تسوية أو تغيير معادلة القوّة في لبنان.

## كيف تبدّت المواجهة على الأرض؟

بدأ العدوان «الإسرائيلي» بعمليات برّية من عدة محاور جنوب لبنان، ولكن وبعد ثلاثة أسابيع، «لم تتحقق السيطرة» لدى الجيش «الإسرائيلي".

المقاومون استغلّوا التضاريس، دعم السكان المحليين، وأسلوب الكمائن، الهجمات الصغيرة، التراجع الذكي.

في وسط الصدمة بعد اغتيال القائد، المقاومة ومعها المجتمع المحلي في الجنوب لم يستسلما للهزيمة النفسية. هذا عنصر مهم: بقاء «النفس» والروح المعنوية والفداء بحيث إنه حسب ثقافة المقاومين، إن الغالي خسرناه فلم يبقَ شيءٌ لدينا نخسره.

## ما الدرس الإستراتيجي؟

الضربات التي تستهدف القوام القيادي قد تكون مهمة، لكنّها لا تكفي في حدّ ذاتها لهزيمة مقاومة منتمية شعبيًا ومتمترسة.

السيطرة البرّية الكبيرة، حتّى مع خمس فرق، لا تعني بالضرورة تحقق الهدف إذا لم يُؤمن الحكم المحلي أو يُكسر إرادة الخصم.

المقاومات الطويلة الأمد تعتمد على متغيرات «الوقت»، «المكان»، «الدعم المحلي»، و«القدرة على التكيّف".

من جهة أخرى، العدّو سيحاول دائمًا استغلال التفوق التكنولوجي والتفوق الاستخباراتي، لكن هذا ليس كافيًا في غياب إضعاف معنويات الخصم أو تفريغ الدعم الشعبي عنه.

## خلاصة

في سياق مواجهة ضارية بين المقاومة في جنوب لبنان من جهة، والجيش «الإسرائيلي» من جهة ثانية، فإنّ ما حصل، من نشر خمس فرق «إسرائيلية»، وضربة استخباراتية كبرى استهدفت القيادة، وعمليات جوّية وبرّية واسعة، كان اختبارًا عسيرًا للمقاومة. لكن رغم كلّ الضربات، بدا واضحًا أن المقاومة حافظت على «الاستمرار» و«المقاومة» كخيار، ولم تنكسر.

هذا الصمود ليس حتمًا نصرًا فوريًا، لكنّه يشير إلى أن المقاومة ليست مسألة معدات أو قيادة واحدة فقط، بل هي شبكة، هي روح، هي ارتباط بالأرض وبالجماعة.

أما ما سيعتمد عليه المستقبل فهو أن المقاومة أثبتت أنها قادرة على تعويض القيادات، وإعادة بناء القدرات، والمحافظة على الدعم الشعبي، وأما إذا كانت «إسرائيل» قادرة على تحويل التفوق التقني إلى انتصار إستراتيجي مستدام فهذا رهن الأيام والأشهر القادمة التي ستثبت أن النصر حليف المقاومين أولي البأس.

# إياكم أن تخطئوا مع نبيه بري

**ناصر قنديل**

– يتصرّف حزب القوات اللبنانية منذ ما بعد إعادة تشكيل السلطة إثر الحرب الإسرائيلية على لبنان، بصفته الحزب الحاكم، ويفعل مثله بدرجة أقل حزب الكتائب وبعض نواب التغيير، بالنسبة والتناسب مع الأحجام، وذلك لا يحدث لأن هؤلاء كانوا وراء تسمية العماد جوزف عون لرئاسة الجمهورية وقد انتخبه أغلبهم رغماً عنه، ولا كانوا وراء تسمية الرئيس نواف سلام لرئاسة الحكومة وقد كانوا

يصطفون وراء تسمية النائب فؤاد مخزومي قبل أن يستبدلوه بقرار خارجي باسم الرئيس نواف سلام، وهم يتصرفون كحزب حاكم لأنهم يرون أن السلطة الجديدة أنتجت في كنف رعاية دولية إقليمية يعتقدون أنهم أصحاب حظوة فيها أكثر من الرئيسين، ويعتبرون أن المناخ الذي فتح الطريق لإعادة تكوين السلطة بهذا الشكل كان نتاج الحرب الإسرائيلية التي لا يُخفي أغلبهم أنه يتمنى أن تعود وتكمل ما فشلت في تحقيقه في الحرب السابقة، ونواب هذا الفريق وقادته يجاهرون في ترداد تمنياتهم علناً.

– يركز الحزب الحاكم في خطابه السياسي طوال ما بعد الحرب على فشل المقاومة، ويبني على ذلك استنتاجه الفوري بالدعوة لقبول معادلة قوامها الحل التفاوضيّ، لكنه يتهرّب من الإجابة على السؤال الذي طرحه النائب السابق وليد جنبلاط، وهو "هل سوف تنسحب "إسرائيل" من أرضنا؟"، والسؤال هو هل التفاوض طريق موثوق لاستعادة الأرض، أم أن التفاوض هو طريق لتسليم أرضنا للاحتلال شرعياً على الطريقة السورية بالدعوة للتفاوض على تثبيت خط فض الاشتباك دون أي أمل ببحث استعادة الجولان المحتل؟ وهنا وجب القول إن جماعة الحزب الحاكم ليست عذراء في هذا النوع من التجارب، فقد سبق واختبرت خيارها التفاوضي مع الاحتلال عامي ١٩٨٢ و١٩٨٣، وكانت النتيجة ما يصفه الرئيس أمين الجميل في كتاب يومياته الرئاسية بالخبث الإسرائيلي والهروب الأميركي، والإصرار على تكرار التجربة ذاتها للحصول على النتائج ذاتها يفتقد للبراءة. وبالمقارنة مع تجربة المقاومة يكفي القول إن المقاومة حررت في العام ٢٠٠٠ دون تفاوض، ودون تنازلات عن السيادة كما تضمن اتفاق ١٧ أيار، ثم حمت وبنت معادلة دفاع عاشت ١٧ عاماً، وفرت خلالها لجنوب لبنان ولكل لبنان أمناً لم يعرفه منذ ولادة كيان الاحتلال على أرض فلسطين، والإخلاص للمصلحة الوطنية يستدعي الإقرار بأنه كما أن المقاومة لا تملك اليوم حلاً فورياً للاحتلال فإن التفاوض ليس حلاً سحرياً.

– لا يبدو الحديث عن خيار التفاوض هدف الحزب الحاكم، بل هو تأدية فاتورة لصاحب الرعاية الخارجي مقابل الحصول على ثمن داخلي، والثمن هو السطو على رئاسة مجلس النواب، ولذلك لا يخفي الحزب الحاكم أن كل نقاشه حول قانون الانتخابات النيابية ينطلق من حسابات النجاح بإحداث اختراق ولو بنائب شيعي واحد، ولو اقتضى الأمر التضحية بنائبين من طوائف أخرى، والرهان على صناعة أغلبية نيابية تتيح ترشيح هذا النائب بمعزل عن مؤهلاته وشعبيته ومقبوليته في طائفته، للمجيء به رئيساً لمجلس النواب، لأنهم يعتقدون أن ازاحة عقبة اسمها نبيه بري من أمامهم تضمن لهم تمهيد الطريق لمواصلة الانقلاب للإمساك بالحكم، حيث إطاحة رئيس الجمهورية الفقرة الثانية على جدول الأعمال، كما تفيد ما أسماها رئيس الجمهورية عمليّة بخّ السم في الخارج، والمقصود ما يقوم به الحزب الحاكم في الكواليس الأميركية للتحريض على رئيس الجمهورية.

– بالحديث عن الرئيس نبيه بري يجب التذكير بحقيقة أولى قوامها أن بري انتصر على الحزب الحاكم ذاته العام ١٩٨٣، ولم يكن معه نائب شيعي واحد فالمعركة ضد اتفاق ١٧ أيار التي خاضها مع النائب السابق وليد جنبلاط والرئيس الراحل سليمان فرنجية والرئيس الشهيد رشيد كرامي، وقف معها في مجلس النواب نائب سنيّ هو زاهر الخطيب ونائب مسيحي هو نجاح واكيم، وكان في مواجهته يومها رئيس جمهورية كامل الصلاحيّات بنسخة ما قبل اتفاق الطائف، ورئيسا مجلس النواب والحكومة والنواب والحكومة، وجيش أعاد الأميركيون بناءه على مقاس سياساتهم، وقوات المارينز ومعها ملحقات فرنسية وإيطالية، وكان الاحتلال لا يزال على أبواب بيروت، فلا تضيّعوا البوصلة وتخطئوا القراءة مرة أخرى.

– الحقيقة الثانية عن الرئيس نبيه بري أنه بمقدار ما هو رجل دولة، فهو لم يكن مرّة رجلاً لدولة يدين لها بالولاء غير لبنان، وفي ذروة علاقته الطيبة بسورية وعلاقته الممتازة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كان صاحب رأي مستقل وقرار مستقل، ويشهد على ذلك كل مَن عايشوا تلك المرحلة ويعرفون تفاصيلها، وغالباً ما كان تميزه في إطار هذه العلاقة، وكانت خلافاته مع القيادة السورية تدور حول الموقف من مكوّن لبناني، كان بري يدعو لإدارة العلاقات معه بروح الأخوة رغم الخلاف العميق في الموقف، وقد كان للعلاقة بالرئيس الشهيد رفيق الحريري والرئيس سعد الحريري والعلاقة مع سيد بكركي مرات كثيرة نصيب من ذلك، وكان يرى أن موقفه مصلحة وطنية لبنانية ومصلحة مخلصة لسورية، وربما يكون بين قلائل امتلكوا شجاعة ممارسة الصداقة مع سورية بلغة الحرص والمصالحة والمصلحة الوطنية، بمعزل عن التبعات التي كانت أحياناً قاسية وظالمة.

– الحقيقة الثالثة أن الرئيس نبيه بري في ذروة انتصاراته، رفض بقوة أي استقواء على مكون لبناني سواء بقوته الذاتية أو بقوة حليفه الخارجي، رغم كل إغراءات ما كان يعرض عليه، وهو رفض مشروع صفقة ثنائية شيعية مسيحية على حساب السنة والدروز، عرضها الفرنسيون وباركها آخرون مع منصب نائب رئيس يتقاسم صلاحيات الرئاسة مع رئيس الجمهورية مناصفة، ورفض السير اعتماداً على التصويت لتحقيق حلمه بإلغاء الطائفية، لأنها برأيه كانت سوف تصبح طائفية أخرى أشد بغضاً، لا يفتخر بأن يكون عرابها، ويفضل البقاء تحت ظلم الطائفية كلبناني متنور، حتى تنضج الغالبية الطائفية للسير بإلغاء الطائفية.

– ربما تكون إحدى فضائل وليد جنبلاط أنه قرأ وفهم نبيه بري أكثر من سواه، وإحدى فضائل بري أنه فهم جنبلاط أكثر من سواه، والذين يعرفون نبيه بري لا يخشون عليه، بل يخافون من إقدام الذين يستهدفون بري على المخاطرة بلبنان أملاً أن ينال بري بعض الأذى.

# إذنّه الفخّ لا الجائزة

**إيهاب زكي**

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل «اختلفت مع المؤسسة الحاكمة، التي رفعت شعار مصر أولًا ومصر ثانيًا ومصر أخيرًا، لأنّ مصر في نهاية هذا المسار لن تكون حتّى أخيرًا». وهنا يحذر هيكل من مصير محتوم بالاندثار كأمّة، والتبعية المطلقة كأنظمةً، وهذا الشعار هو البوابة الكبرى للتطبيع المُذل، وليس التساكن النديّ.

يتلقف المثقفون هذا الشعار، ثمّ يقومون بتسويقه باعتباره قدحًا من زناد عقولهم، بينما الحقيقة أنّه من بنات أفكار وسادة الحاكم، الذي يعتبر كرسيه الغاية، التي يجب تسخير كلّ الوسائل لحمايته وديمومته، وسيلة الشعب ووسيلة الوطن، وسيلة الحدود ووسيلة الأمن القومي، وسيلة الدين والعروبة، وعلى رأس كلّ تلك الوسائل وسيلة فلسطين، فكلّ شيءٍ قابل للتسخير في سبيل غاية العرش.

ونلاحظ اليوم أنّ مثقفي اليوم، ورثة شعار الأمس، دخلوا مرحلة متقدمة من تطوير ذلك الشعار، فلم يعد شعار القطر أولًا، بل أصبح الشعار أكثر وضوحًا، وصار«إسرائيل» أولًا، بغضّ النظر عن تعدد الصياغات، فكلها تؤدي لنتيجةٍ واحدة، وهي الاستسلام أولًا.

ويتم تقديم الاستسلام باعتباره المصلحة العليا للشعب والوطن، كما يفعلون اليوم بمطالبة حزب اللّه وحماس بالاستسلام، باعتباره أولًا، حتّى قبل أن تقدّم «إسرائيل» أيّ تنازل، أو حتّى مجرد التزام بما اتّفق عليه، وهذا يعني «إسرائيل أولًا»، لأنه استسلام لصالحها وحدها لا غيرها.

وإذا قُيّض لهم النجاح في فرض هذا الشعار اليوم، فشعار المستقبل سيكون.... لن يكون هناك شعارات مستقبلية، لأنّه الفخ لا الجائزة، فقد اعتقد الجيل الأول من النخب رافعي شعار «القطر أولًا» أنّ التنمية والاستقرار هما جائزة الشعار، لكنّه كان الفخّ نحو شعار «إسرائيل أولًا»، وشعار الاستسلام تحت أوهام جائزة الهدوء والاستقرار مجددًا، سيكون هو فخّ الاندثار والشتات.

وهنا قد يعتقد البعض أنّ هذا نوعٌ من ادعاء امتلاك الحقيقة الكاملة، وأنّه نوعٌ من الحجر الثقافي، على قاعدة من ليس مع المقاومة فهو مع «إسرائيل»، ولكن لنفترض تفهمًا لمن يختلف مع المقاومة، باعتبار أنّهم مترفو الألم جيّاشو المشاعر، وأنّ تكلفة المقاومة باهظة لا تحتملها رقّة سرائرهم، أو باعتبار أنّ المقاومة أثبتت عدم جدواها، أمام قدرات الكيان.

هذا طبعًا مع استثناء الذين يرفعون شعار «إسرائيل أولًا» والاستسلام أولًا، من خلفية ارتباطاتهم الحزبية غير المباشرة مع الكيان، أو الاستخبارية المباشرة معه، باستثناء هؤلاء - فهذا الخطاب ليس موجهًا لهم - فإنّ المثقف الذي يوجه سهام انتقاداته للمقاومة، عليه أن يكون شديد الحرص، ألّا تتقاطع سهامه مع سهام العدو، وإن حدث التقاطع عن غير قصد، عليه مراجعة أوراقه، لأنّه يوحي بأنّ انتقاداته، منبعها الحرص المرصّع بأخلاقياته الوطنية والسياسية، أمّا الإصرار على الاختلاف، المؤدّي للتصادم مع نهج المقاومة والتقاطع مع رغبات «إسرائيل» وأهدافها ومصالحها، فلا يعدّ الأمر اختلافًا على الوسائل، بل يصبح صدامًا مع الوطن ومواطنيه ومصالحهم، بل تآمرًا على دمائهم ومصائرهم.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، وعلى سبيل الاختبار، فقد قال الشيخ نعيم قاسم في إطلالته الأخيرة عن خروقات العدوّ المستمرة لوقف النار «لكل شيءٍ حدّ»، فكيف ترى وقع هذا التصريح على قريحتك الثقافية؟ هل تراه مدعاةً للاختلاف المزمن؟ وأنّه يزيد من هوّة الفجوة؟ أم تراه كوّة في جدار الثقة السميك مع المقاومة؟.

إنّ الوقت الذي يشتريه حزب اللّه بالدم، يجب أن يكون موضع إكبارٍ لا اختلاف، لأنّه يُعتبر افتداءً لكل لبنان، أمّا إن كان هذا مصدر اختلافك، باعتباره دليل انهزام، وبالتالي لا جدوى من التمسك بالسلاح، فتصريح الشيخ نعيم قاسم، يجب أن يكون بمثابة الرتق لمصدر اختلافك، وفرصة لإعادة ترتيب أوراقك.

إنّ الجوائز لا تكون على شكل استسلام، ولا جوائز مع التنازلات، إنّه الفخّ الذي تُساق إليه مفتوح العينين، الفخّ الذي سيجعل منك أسهل الفرائس، فيما أنت تتشدق بمصطلحاتك الفارهة وتلوك ثقافتك الطازجة، التي اكتشفتها بعد قراءتك كتابًا عن اكتشاف النار، فالثقافة هي أن تنحني إجلالًا للدم، وتجعل مدادك امتداد قارة، لا أن تركع خضوعًا للنار، ومدادك عبدها.